بعضها الى بعض حتى يفوز اهل السعاده بهدم اصل الايمان عند الخاتمه وكما ان تكرار ليله لا يحس تأثره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامه فكذلك الطاعه الواحده لا يحس تأثرها في تزكيه النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجمله الكثيره منها موثره وانما اجتمعت الجمله من الاحاد فلكل واحد تأثير فما من طاعه الا ولها اثر وان خفي فلها لا محاله ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصيه وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليله وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما بيوم الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوف نفسه بالتوبه على التوالي اما ان يختطفه الموت بغته او تتراكم ظلمه الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبه اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الايه ولذلك قال علي رضي الله عنه الايمان يبدو في القلب نكتة بيضا كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب لمعه سودا كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذن قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تاره تكون في الطبع والفطره وتاره باعتياد الافعال الجميله وتاره بمشاهده ارباب الافعال الجميله ومصاحبتهم وهم قرنا الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيله طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السو فتعلم وتيسرت له اسباب الشر حتى يتعود فهو في غايه البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجه في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحاله ومن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت ان الاعتدال في الاخلاق هو صحه في النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيه كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحه له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثلا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل عنها والاخلاق الرديه عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميله لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل وكسب الصحه اليها فكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العله المغيره بعوارض الاغذيه والاهويه والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطره فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اي بالتعود والتعلم يكتسب الرذايل وكما ان البدن في الابتدا لا يخلق كاملا وانما يكمل

٣٣

ويقوى بالنشو والتربيه بالغذا وكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكيه وتهذيب الاخلاق والتغذيه بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحه وان كان مريضا فشانه جلب الصحه اليه فكذا النفس منك ان كانت زكيه طاهره مهذبه الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفايها وان كانت عديمه الكمال والصفا فينبغي ان تسعى لجلب ذلك وكما ان العله المغيره لاعتدال البدن الموجبه للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حراره فالبروده وان كانت من بروده فالحراره فكذا الرذيله التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مراره الدوا وشده الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضه فلا بد من احتمال مراره المجاهده والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي لعله سببها الحراره الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشده والضعف والدوام وعدمه وبالكثره والقله ولا بد له من عيار يعرف به مقدار النافع منه فان لم يحفظ عياره زاد الفساد فكذلك النقيض التي تعالج به الاخلاق لا بد له من عيار وكما ان عيار الدوا ماخوذ من عيار العله حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العله من حراره او بروده وان كانت من حراره فيعرف درجتها اهي ضعيفه ام قويه فاذا عرف التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله وعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم وكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضه اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضه ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهاره والصلوه وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصيه فيامره اولا بتركها فاذا تزينت بالعبادات ظواهره وطهرت عن المعاصي الظاهره جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونه والكبر وعزه النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق للكديه والسوال فان عزه الرياسه لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه بالمواظبه على ذلك مده حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكه وكذا الرعونه وان راى الغالب عليه النظافه

بالتسخي

تكلفا

ذلك

ان لا يهجم عليهم بالرياضه والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1